جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ

دِيوَانُ الوَقْفِ الشِيْعِيّ

تُرَاثُ الحِلَّةِ

مَجلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الحِلِّيِّ

تَصْدُرُ عَنِ

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَةُ

قِسْمُ شُؤُونِ المَعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ

مَرْكَزُ تُرَاثِ الحِلَّةِ

مُعتَمَدَةٌ لأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّةِ

السَّنَةُ (الرابعة) / المجلَّدُ (الرابع) / العَدَدُ (الثالث عشر)

صَفَر الخير ١٤٤١هـ / أيلول ٢٠١٩م

العتبة العباسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة.

تراث الحِلَّة : مجلَّة فصليَّة محكَّمة تُعنى بالتراث الحِلِّي = Turath Al-Hillah = Heritage of Hilla : Quarterly Authorized Journal Specialized in Hillah Heritage / تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة مركز تراث الحِلَّة. - الحِلَّة/ العراق : العتبة العباسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة، ٢٠١٦-

مجلَّد : جداول، صور طبق الأصل ؛ ٢٤ سم

فصليَّة.-السنة الرابعة، المجلَّد الرابع، العدد الثالث عشر (أيلول ٢٠١٩)-

ردمد: 2412.9615

يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة.

النصّ باللغة العربيَّة ؛ ومستخلصات باللغة العربيَّة والإنجليزيَّة.

١. الحِلَّة (العراق)--تاريخ--دوريَّات. ٢. الحِلَّة (العراق)--الحياة الفكريَّة--دوريَّات. ٣. القرآن--أسباب النزول--دوريَّات. ٤. علم الكلام (شيعة)--دوريَّات. ٥. اللغة العربيَّة--لهجات--العراق--دوريَّات. ٦. الطاهر، عليّ جواد، ١٩١٩-١٩٩٦--دوريَّات. ٧. الشعر الديني الإسلامي--تاريخ ونقد--دوريَّات. ٨. الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)--الإمام، ٤-٦١ هجريّ--في الشعر العربيّ--دوريَّات. أ. العنوان

LCC : DS79.9.H55 A8374 2019 VOL.4 NO. 13

DDC : 956.747

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

رثاء الإمام الحسين عليه السلام في شعر السيِّد حيدر الحِلّيّ
دراسة موضوعيَّة فنيَّة

Imam Hussain's Lament in the Poetry of Sayyid Haidar Al-Hilli; Artistic Objective Study

م.م. إياد نيسي

جامعة خليج فارس في بوشهر

الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة

Asst. Lect. Ayad Neissi

Persian Gulf University of Bushehr

Iran Islamic Republic

مُلخَّص البحث

الاهتمام بِالأَدب الشيعيّ شَغلَ حيِّزًا كبيرًا بعد أَحداث معركة الطفِّ، وتعدُّ هذه الواقعة مِن أَكثر المعارك جدلًا في تاريخ البشريَّة، ومِن هذا المنطلق فإِنَّ لِرثاء الإِمام الحُسين عليه السلام مكانة مرموقة في الشعر العربيّ لا يقابلها أَي شيءٍ آخر. وقد وجدنا كثيرًا مِن شعراء أَدب الطفِّ برعوا في هذا الفن واشتهروا بِه، وسيظلُّ الشعر الكربلائيّ الحُسينيّ نبعًا لا يجفُّ ومعينًا لا ينضب على مَرِّ التاريخ؛ لأَنَّهُ ليس ذا بُعدٍ عاطفيٍّ فَحسب، بل إِنَّهُ يحمل بين ثناياه بُعدًا دينيًّا، واليوم لا نَجد بلدًا إسلاميًّا إِلَّا وانتشر فيه هذا النوع مِن الشعر الدينيّ في نطاق واسع.

لقد خلصت هذه الدراسة إِلى عرض أَبرز الملامح والظواهر المختلفة لِلرِّثاء الحسينيّ في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ، ونحن في هذه الدراسة اعتمدنا في خطَّتها على المنهج الوصفيّ التحليليّ، وقسَّمنا جوانب الرثاء في شعره، ثُمَّ استخرجنا مواطن جمالها، وأَشرنا إِلى الميزات البارزة والأساسيَّة لِلرثاء الحسينيّ في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ. إذ كان رثاء الإِمام الحُسين عليه السلام في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ حزينًا مُفعمًا بِالصور المأساويَّة، فقد رسمَ الشاعرُ صورًا مؤثِّرة وحزينة تتألَّم منها القلوب، مع جزالة الأُسلوب ورصانته ونصاعته، وإظهار معانٍ صادقةٍ، واعتمد على متانة اللفظ والتعبير، وغزارة وصف الوجدان، والمطالبة بِالثورة على جبابرة الدهر، وقادة الطُغاة والهيمنة على مَرِّ العصور، مع قُوَّة التأثير في

نفس المتلقِّي وذهنه.

الكلمات الدَّلاليَّة: الرِّثاء، أَدب الطَّفِّ، الإِمام الحُسين عليه السلام، السيِّد حيدر الحِلِّيّ.

السنة الرابعة/المجلد الرابع/العدد الثالث عشر
صفر الخير ١٤٤١هـ/أيلول ٢٠١٩م

Abstract

The interest in Shi'ite literature occupied a great deal after the events of the Battle of Tuff, this incident may be one of the most controversial battles in human history, from this point of view, the lament of Imam Hussein (PBUH) In Arabic poetry, has a Prestigious position, nothing else corresponds to it, we have found many poets of AL-Taf who have excelled in this art and are famous for it, the hussainian Karbalai poetry will remain an inexhaustible source over the course of history, because it is not only an emotional dimension, but in addition, it has a religious dimension.

Today, we can't find an Islamic country without this type of religious poetry has spread widely in it. This study has concluded with the presentation of the most prominent features and phenomena of Hussein lamentations in the poetry of Sayyid Haidar Al-Hali. In this study, we adopted in its plan the descriptive analytical method, divided the aspects of lamentation Then we extracted her beauty.

We referred to the salient and essential features of Hussain lamentations in the poetry of Sayyid Haidar Al-Hali. The lamentation of Imam Hussain (PBUH) in the poetry of Sayyid Haidar Al-Hili was sad and full of tragic images, the poet drew poignant and sad images that hurt the hearts, with the style, the peg and the light, a true meaning, its dependence on the strength of the word and expression, the abundance of the description of the conscience, the accuracy of the description, the demand for the revolution on the titans of the age and the leaders of tyrants and dominance over the ages, with the power to influence the same recipient and his mind.

مقدِّمة البحث

أَصبحت قضيَّة الطفِّ ونهضة الإِمام الحسين عليه السلام إِحدى القَضايا العظيمة والمهمَّة لَـدى كُلِّ المؤمنـين علـى مَدى التاريخ؛ لمـا فيها مِن طاقـات قويَّة هائلة تُسـاعدنا على الصمود أَمام قادة الطغاة والهيمنة، وتحدِّي الصعوبات والمشقَّات.

فَقَـد أَعطـى الإِمـام الحسـين عليه السلام للهِ تعالـى كُلَّ شيءٍ، وقـدَّم التضحيـات التي لم يشـهد التاريخ ولن يشـهد مثيلًا لهـا، وكان عطاؤه غـير منقطع، فكان علينـا أَن يكون عطاؤنا للإِمام الحسـين عليه السلام ومشـاركتنا ومواسـاتنا بمسـتوى تضحيتـهِ وعطائهِ، حتَّى نكـون بِمسـتوى الحُـبِّ والـولاء لِلعظمـة الحُسـينيَّة[1]، فلِواقعـة الطـفِّ المؤلمـة التي استشـهد فيهـا الإِمام الحُسـين عليه السلام وأَصحابه الكرام أَثـرٌ كبيرٌ في نُفـوس الموالين لأَهل البيـت عليهم السلام، وَلـذا نُلاحـظ أَنَّ محبِّي أَهـل البيـت عليهم السلام في كُلِّ عـام يُقيمون العـزاء على مُصاب سـيِّد الشـهداء عليه السلام بِـكُلِّ فخرٍ واعتـزاز، ودموعهـم مُنهمرةٌ علـى خدودهم، وأَصواتهـم مرتفعـةٌ بِالبكاءِ والنحيـب، ويجب أَلَّا ننسـى بِأَنَّ لأَحـداث معركة الطفِّ بشـكلٍ عام، ولِقتل الإِمام الحسـين عليه السلام بشـكلٍ خاص حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أَبدًا، وكما أَسـلفنا بِأَنَّ كُلَّ شـخصٍ مـوالٍ لأَهل البيت عليهم السلام يحسُّ بِعظمـة هذه القضية، وهـي التي تدفعـهُ إِلى المثابـرة وتحـدِّي الصعوبات في طريق سـيِّد الشُـهداء عليه السلام دون مُبالاة.

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن الأَسئلة الآتية:

أوَّلًا: ما هو الدافع الرئيس الذي حثَّ الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ على تخصيص بعض أغراض شعره للرثاء الحسينيّ؟

ثانيًا: ما هي أبرز جوانب الرثاء الحسينيّ في شعر الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ؟

ثالثًا: ما هي السِّمات الرئيسة التي يتَّسم بِها الرثاء الكربلائيّ عند الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ؟

أسبقيَّة البحث

ثمَّة دراسات يُشار إليها، أُنجزت حول أدب السيِّد حيدر الحِلِّيّ نخصُّ منها بِالذِّكر مقالًا تحت عنوان (ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ؛ أغراضه وفنونه) للدكتور فارس عزيز مسلم، المنشور في مجلَّة مركز بابل، ورسالة جامعيَّة لِنيل درجة الماجستير في جامعة طهران عنوانها (استنهاض الإمام الحجَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ) لِلطالب رضا الحكيم، وإشراف الدكتور أحمد سعدي؛ لذا مِن هذا المنطلق، وعلى الرغم من دراسة واقعة الطفِّ وما بعدها في عِدَّة كُتُب أَو رسائل وأَطاريح جامعيَّة، لم نجد دراسة سابقة خاصَّة وموسَّعة وشاملة حول الرثاء الحسينيّ في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ؛ لذا فالوقوف والنظر في الأشعار التي نظمها السيِّد حيدر الحِلِّيّ في الرثاء الحسينيّ، يفتح لنا بابًا جديدًا للولوج إلى الأدب الملتزم، وممَّا لا غبار عليه، فإنَّ هذا البحث يُعَدُّ وسيلة من الوسائل المعينة للمتطلِّعين والباحثين لمعرفة أسرار الإمام الحسين عليه السلام وفضائله.

المبحث الأوَّل

نظرة عابرة في فنِّ الرثاء

الرثـاء لُغـةً: مِن رَثـى، رَثيًـا وَرِثايَةً وَمَرثِيَـةً، وَرَثَأتُ الرَّجُـل رَثـأً أي مَدَحتُهُ بعدَ مَوتـه، وَرَثَـأَت المرأة زُوجها، كذلك؛ وَهِـيَ مُرثِئَة[٢]. أَمَّا الرثاء في الأَدب؛ فَهُوَ الشـعرُ الَّـذي يُعَبِّرُ الشـاعرُ فيهِ عن مَشـاعر الحُـزنِ واللوعـةِ التي تَنتابُـهُ؛ لِغيابِ عزيـزٍ فُجِعَ بِفَقدِهِ[٣].

يـدور موضـوع الرثاء حول ذكر الصفات الحسـنة لِلميت، وَيسـعى الشـاعرُ مِن خِـلال وصفه لهذه الخصال الطيِّبة والتي هي أَيضًا حافلة بِذكر الآلام والمرارة والتوجُّع الباكي والشـكوى مِن الزمان، أَن يُلهم ذَويـه الصبر والسلوان؛ لذا نجد هذا النوع مِن الشـعر ينماز من سـائر أَنواعه بِالصدق في العاطفـة المتأَجِّجة والخفَّاقـة المُندفعة اندفاعًا شـديدًا؛ لِتؤثِّـر في قلب المستمع. يقول صاحب كتاب (نوائـح نجوم السماء في مصائب عاشـوراء): «الرِّثـاء فنٌّ مِن فنون الشِّـعر الغنائيّ يُعَبِّر فيه الشـاعر عـن حُزنه وتفجُّعه لفقدانِ حبيبٍ، كما يَتلوَّنُ الرثاءُ بِألوانٍ مختلفةٍ تَبَعًا لِلطبيعةِ والمزاجِ والمواقف؛ فإذا غَلبَ عليـهِ البكاءُ علـى الرَّاحلِ، وَبَثَّ اللوعةَ والحُزن، كانَ (نُدبًـا)، وَإذا غَلبَ عليهِ تَسجيل الخصـال الحميـدةِ التي يَتَمَتَّع بِهـا الفقيدُ في حياتِهِ كـانَ (تأبينًا) وَإذا غلـبَ عليهِ التأَمُّل في حقيقـةِ المـوتِ والحياةِ كانَ (عَزاءً) وقَـد يَجتَمِعُ الندبُ والتَّأبينُ والعـزاءُ في القصيدةِ الواحدة»[٤].

وفي العصر الحديث، رثى الشعراءُ الإنسانيَّةَ بشكلٍ عام، ورثوا أنفسهم بشكلٍ خاص، وغاصوا في وجدانيَّاتهم وتأمُّلاتهم، كذلك رثوا العروبة ورثوا الأخلاقَ، فضلًا عن رثاء الأحبَّة[٥]، وعِندَ حديثنا عن عصرِنا الحاضر، لا نقصد جَميع الشعراء الَّذينَ ظَهَروا في هذه المدة الزمنيَّة، بَل نَقصدُ الشعراء الَّذينَ ظَهَروا في بدايةِ هذه الحُقبة، فَفِي بِدايةِ هذا العصر نَشَطَت كثير مِن الحركاتِ الوَطَنيَّةِ التي تَسعى لتَحريرِ بِلادها مِن مَخالبِ الاستعمار، فَلهذا أَصبحَ لِلشخصيَّاتِ الوطنيَّة والقوميَّة حِصةٌ مِن الرثاء، فنَرى حافظ إبراهيم مثلًا يَرثِي الزعيمَ المصريّ الراحل مُصطفى كامل بِأَبياتٍ يُصَوِّرُ بِها كثرَةَ المشيِّعين وَالحُزن الكبير الَّذي أَلَمَّ بِهم جَرَّاءَ رَحيل هذا الزعيم الوطني:

تِسعونَ أَلفًا حَولَ نعشك خُشَّعٌ
يَمشونَ تَحتَ لوائك السَيَّارِ
خَطُّوا بِأَدمُعِهِم على وَجه الثَرى
لِلحُزنِ أَسطارًا على أَسطارِ
آنًا يُوالونَ الضجيجَ كأَنَّهم
رَكبُ الحجيج بِكعبةِ الزوَّارِ[٦]

كذلك شاعَ لونٌ جديدٌ مِن الرثاء لَم يَكُن شائعًا في العصورِ المنصَرِمة، وَهُوَ رثاءُ الشعراء بَعضِهِم بَعضًا، كَرثاءِ بشارة الخوري أَحمد شوقي، إذ يَقول فيه:

قِف في رُبَى الخُلد وَاهتِف بِاسمِ شاعرِهِ
فَسِدرةُ المنتهى أَدنَى مَنابرِهِ
وَامسَح جبينك بِالرُكن الَّذي انبَلَجَت
أَشِعةُ الوَحي شِعرًا في مَنائرِهِ

إِلهــةُ الـشـعـرِ قـامَـت عَـن مَـيـامـنِـهِ
وَرَبَّــةُ الـنَّـثـرِ قَـامَـت عَـن مَـيـاسـرِهِ(٧)

لا نَجِد حُرقةً أَو عاطفةً أَو إحساسًـا مُرهَفًا في هذه القصيدة، بَل أَكثر ما تُشـير إِلى بَراعةِ الراثي في الشعرِ والنثر.

وكانـت أَلوانُ الرثاء التقليديَّـة حاضرةً في هذا العصر، حيثُ نَـرى الرثاء العائليّ، ورثاء الأَقرباء، ورثاء أَصحاب المناصب، ورثاء الخِلَّان وغيرهم، ومِن ذلك قول مَحمود سامي البارودي في رثاءِ زوجته:

أَيَــدَ المـنُـونِ قَـدَحـتِ أَيَّ زِنـادِ
وَأَطَـــرتِ أَيَّـــةَ شُـعـلـةٍ بِـفـؤادِي
أَوهَـنـتِ عَـزمـي وَهُـوَ حملـةُ فَيلَقٍ
وَحَـطَـمـتِ عُـودي وَهُـوَ رُمـحُ طِـرادِ
لَم أَدرِ هَـل خَـطـبٌ أَلَمَّ بِساحَتي
فَـأَنَـاخَ، أَمْ سَـهْـمٌ أَصـابَ سَـوَادِي(٨)

أَمَّا أُسـلوبُ الرثـاء في بداياتِ العصر الحديث، فهُوَ تقليدٌ لِلأُسـلوبِ العبَّاسيّ مِن حيثُ المعنى واللفظ؛ وذلك لأَنَّ شـعراء هذه الحقبة جعلوا مِن الشـعر العبَّاسيّ خارطةَ طريقٍ لهُم مِن أَجلِ النُهوض بِالشـعرِ العربي؛ لذا عُرِفَت هذه المدرسـة التي ينتمي إِليها هؤلاء الشعراء بِمدرسةِ البعثِ أَو الإِحياء.

المبحث الثاني

أَدب الطفِّ

أَثارت قضيَّة واقعة الطفِّ وما تحمل بين جَنَباتها مِن محنٍ وأَحزانٍ ومُلمَّاتٍ، مَشاعر شُعراء الشيعة وأَحاسيسهم، فَفاضت على أَلسنتهم أَجمل القصائد في رثاء أَهل البيت عليهم السلام، والتي يفوح فيها عبق الشهادة الَّذي انطلقَ مِن معركة الطفِّ. وما عرفت البشريَّة جمعاء عظيمًا مِن أَبنائها قيل فيه مِن الشعر ما قيل في الحسين بن عليّ عليهما السلام، ولو تصدَّى متتبِّعٌ للموازنة بين ما نُظم فيه، وما نُظم في عظماء الدنيا مجتمِعين سوى أهل البيت عليهم السلام، لتعادلت الكفَّتان، أَو رجحت كفَّة الحُسين عليه السلام[٩].

وَيجب أَلَّا ننسى بأَنَّهُ كان لِتشجيع الأَئمَّة الأَطهار عليهم السلام وَحثِّهم وَترغيبهم محبِّيهم على قَول الشعر في فضائلهم ومزاياهم، وما ينالهُ الشاعر الحسينيّ مِن منزلةٍ عاليةٍ بِعمله هذا، الأَثر الكبير في تحفيز شعراء الرثاء الحسينيّ، إذ أَعطى مَوقف أَهل البيت عليهم السلام لِلشعر الرثائي حافزًا دينيًّا إِلى جانب الحافز العاطفيّ، وكان مِن الدوافع الأَساسيَّة وَالقويَّة التي أَدَّت إِلى اتِّجاه شعراء الشيعة نحو الأَدب الولائيّ المنظوم، والإِكثار مِن هذا اللون في شعرهم، وما تمخَّض عنها مِن تأَجيج الحميَّة الدينيَّة، وتعزيز العلاقة العاطفيَّة والعقيديَّة بأَهل بيت النبوة عليهم السلام. ومِن هذا المنطلق نُشير إِلى ما ورد عن الإِمام الصادق عليه السلام في هذا السياق، فإِنَّهُ قالَ: «**مَن قالَ فينا بيت شِعر بنى اللهُ لَهُ بيتًا في الجنَّة**»[١٠]، وَهذا هُوَ ما أَكَّدَ عليه القرآن الكريم، قالَ الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**وَمَنْ يُعَظِّم شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها**

مِن تَقْوى القلوب﴾[١١].

إذن عندما يقوم الشاعر الشيعيّ بِنظم الشعر وإنشاده في فضائل أَهل البيت عليهم السلام ومناقبهم، فإنَّهُ عَملَ عملًا دينيًّا يدخل في تعظيم شعائر الله عزّ وجلّ، وإنَّ عمله يكون مِن أَعمال التقوى، لذا عندما يقوم شعراء الرثاء الحُسينيّ بِتَجسيد واقِع أَهل البيت عليهم السلام العملي قولًا وفعلًا، وَيسعون لتسليط الأَضواء عليهم بهذا الجهاز الإِعلامي الفاعل، فإنَّهم بعملهم هذا يُعَرِّفُون عامَّة الناس مَظلومية أَهل بيت النبوَّة عليهم السلام، وأَنواع الاضطهادات التي مارستها السلطات الجائرة، وَفي الوقت نفسه يُدافعون عن العقيدة الإِسلاميَّة الأَصيلة وَدينهم الحنيف أَمام الدعايات الكاذبة التي تصدر عن الضجيج الإِعلاميّ المخالف وَعملائهم الخونة والمجرمين الَّذين يسعون في الأَرض فسادًا؛ لِيستتبَّ لهُم الأَمر مِن أَجلِ مُحاربة الإِسلام والمسلمين، والوصول إِلى أَطماعهم ومصالحهم، ولكن هذا الموقف المضاد الَّذي اتَّخذتهُ السلطات المتعاقبة مِن موضوع رثاء الحسين عليه السلام لم يؤثِّر على نموِّ الشعر الحسينيّ الرثائيّ، بَل لعلَّهُ زادهُ نموًّا وحرارةً، وجعل شعراء الشيعة يُمارسونَهُ بِروح الفداء والتضحية والتَّقوى[١٢].

فإِنَّ ثورة الإِمام الحسين عليه السلام كانت مِن أَجلِ إِصلاح أُمَّة جدِّه الرسول الأَعظم محمَّد صلى الله عليه وآله، ولخلاصها مِن بَراثن الجهل والظلم، وإِحياء أَحكام القرآن على أَساس العقيدة الإِسلاميَّة الأَصيلة التي يقوم عليها بناء الدين، فَما دام دين الإِسلام والقرآن الكريم مُخلدًا أَبد الآباد، وَقَد حفظه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١٣].

فَثورة سبط النبي الأَكرم صلى الله عليه وآله - الإِمام الحسين عليه السلام - محفوظة ومُخلَّدة أَيضًا مع الإِسلام والقرآن إِلى يوم الدين، فَكان مُجرَّد ذِكر الاسم الشريف مدعاة لِلتضحية بِكُلِّ معانيها، والشهادة بِأَقصى درجاتها، فَهُوَ القدوة لِكُلِّ الأَحرار[١٤].

إِنَّ الحسين عليه السلام قَد مَضى على استشهاده أَلف وثلاثمئة وثمانون سنة أَو تزيد، وَمِن

يومه إلى يومنا هذا، وَالأَجيال مِن قوميَّات شتَّى ينظمون فيه الأَشعار بِالفُصحى وَغير الفُصحى، وقَد تغيَّرت الحياة ومَرَّت بِالعديدِ مِن الأَطوار، وقَضَت على الكثير مِن العادات، إِلَّا الاحتفال بِذكرى الحُسين عليه السلام، والهتاف باسم الحُسين عليه السلام نثرًا وشعرًا، فإِنَّهُ ينمو مِن عصرٍ إِلى عصر، تمامًا كما تنمو الحياة، وَسَيستمر هذا النمو[١٥].

كان شعر الرثاء الحسينيّ صورة لِلموقف النفسيّ للإِنسان الشيعيّ بِوجهٍ خاصٍّ، وللإِنسان المسلم بِوجهٍ عامٍّ، فَقد كان شعر الرثاء الحسينيّ حزينًا في غير ذلٍّ ولا روحٍ انهزاميَّةٍ أَمام قسوة الواقع وَتحدِّياته[١٦]، وَتُعَدُّ المدَّة الواقعة بين استشهاد الحسين عليه السلام وَنهاية الدولة العبَّاسيَّة سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، مِن أَخصب عصور الشعر الكربلائيّ، لِسببٍ واحد؛ وَهُوَ أَنَّ الأَئمَّة في ذلك الزمن وأتباعهم من شيعتهم المخلصين كانوا يشجِّعون هذا النوع مِن الشعر، ويثيبون عليه، ويُكرمون قائليه[١٧].

وَمهما يكن مِن أَمر، فإِنَّ واقعة الطفِّ كانت المحرِّك الأَساسيّ والباعث الرئيس في إثارة الشعراء مُنذ حُلولها إِلى الآن، ومِن ثمَّ لو وصفنا ما قِيل مِن قَصائد وَأَشعار في هذه الواقعة بـ(الطفِّيَّات)، لَكان أَعلق بِالموضوع وَأَكثر ارتباطًا بِه مِن غيره مِن المصطلحات أَو المسمَّيات[١٨]. الطفِّيَّات مُصطلح آثر الباحث نسبته إلى لقصائد المتضمِّنة وَصفًا لِواقعة الطفِّ وما جَرى فيها مِن فاجعة حَلَّت بِالإِمام الحُسين عليه السلام وَأَهل بيته وأَصحابه، ولا ريب في أَنَّ هذا المصطلح يشمل جميع القصائد التي بَكت الحُسين عليه السلام وَتَفجَّعت بِمقتله في تلك الواقعة الأَليمة مُنذ حُلولها سنة إِحدى وَستين لِلهجرة إِلى الآن[١٩].

المبحث الثالث

نظرة عابرة على حياة السيِّد حيدر الحِلِّيّ وشخصيَّته في شعره

هو أبو سليمان السيِّد حيدر بن سليمان بن داوود بن سليمان بن داوود... بن يحيى ابن الحسين ذي الدمعة ابن زيد الشهيد ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام الحسينيّ الحِلِّيّ[٢٠]، ولِد السيِّد حيدر في الحِلَّة في ١٥ شعبان سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، وقبل أن يكمل عامه الثاني من عمره، فَقَدَ والده، فعاش يتيمًا، وتولَّى تربيته عمُّه السيِّد مهديّ، وكانت وفاته بالحِلَّة يوم التاسع من ربيع الثاني، وحمل إلى النجف فدفن في الصحن الشريف أمام الرأس الشريف[٢١]. لهُ ديوان سمَّاه الدرُّ اليتيم طبع في بومبي في الهند على الحجر، وكتاب العقد المفصَّل في نعت قبيلة المجد المؤثَّل، وهو مطبوع أيضًا، وكتاب الأَشجان في مراثي خير إنسان، وهذا الكتاب لا يزال مخطوطًا، وكتاب دمية القصر في شعراء العصر، وهذا الكتاب أَيضًا لا يزال مخطوطًا، وتعدُّ حوليَّاته في الإمام الحسين عليه السلام من أشهر شعره[٢٢].

كان شاعرًا بارعًا غير منازَع، وأَديبًا أَريبًا لم يدافع، وكان ذا إلمامٍ بالعربيَّة، مصنِّفًا، ضمَّ إلى الأدب نسكًا وتقوى[٢٣]، يقول فيه صاحب كتاب أعيان الشيعة إِنَّهُ كان لغويًّا عارفًا بالعربيَّة شهمًا أديبًا، وقورًا تقيًّا، عليه سمات العلماء الأبرار، كثير العبادة والنوافل، كريم الطبع[٢٤]، ويقول الشيخ اليعقوبيّ عنه: كان أبيَّ النفس، واسع الجاه، عظيم القدر[٢٥]، وكان يتمتَّع بمكانةٍ ساميةٍ في الأوساط العلميَّة والأدبيَّة[٢٦]، وكان

له ولأسرته أثر بارز في أدب مدينة الحِلَّة وشعرائها، شعره حسن، ترفَّع به عن المدح والاستجداء، وكان موصوفًا بالسخاء[٢٧]، ويقول عنه الدكتور الشيخ أحمد الوائليّ عليه الرحمة: «يظلُّ شعر السيِّد حيدر الأُفق الَّذي تحتدم أَجواؤه بما لا يسع البيان تصوُّره مِن الأَبعاد الملتهبة»[٢٨].

وممَّا لا غبار عليه أَنَّ الشاعر تأثَّر بعبقريَّة الشاعرَين الشريف الرضيّ، ومهيار الديلميّ؛ لذا كانت للشاعر صلة وطيدة بالشاعرَين المذكورَين، وَفي الوقت نفسه، ومع وجود بون شاسع يفصلهم زمنيًّا، كان لهما تأثيرٌ قويٌّ في شاعريَّته؛ وذلك لأَنَّه درس شعر الرضيّ دراسة تحليليَّة، ودوَّن معظم قصائده والمختار من ديوانه في مجاميعه الأدبيَّة، ونسخ ديوان مهيار بكامله في أربعة أجزاء بالقطع الكبير، كتبه وهو ابن ٢٥ سنة، وكتب في آخره: تمَّ الجزء الرابع من ديوان مهيار الديلميّ على يد المحتاج إلى ربِّه الغنيّ حيدر بن سليمان الحسينيّ يوم الاثنين وهو اليوم السابع عشر من شوَّال ١٢٧١هـ.

ومن ثمَّ تجده قد ألمَّ بكثير من معاني الشريف ومهيار، وأودعها في قصائده بقوالب من الألفاظ، ربَّما تكون أحيانا أقوى وأجزل من الأصل[٢٩].

السيِّد حيدر الحِلِّيّ هُوَ مِن مفاخر شعراء العراق وكبار شعرائه في العصر الحديث، فإنَّهُ خطيب مفوَّه وأديب كبير، امتلكَ ثقافةً متنوِّعةً، وتضلَّع في الفقه والأصول والأدب العربيّ. وممَّا يلفت النظر هُوَ أنَّ الشعر في هذه الفترة، وبِالتحديد في مدينة الحِلَّة، لم يكن مقصورًا على طبقة خاصَّة مِن المجتمع، ممَّا تمخَّض عن ظهور عدد من الشعراء الذين كانوا في الأصل من كبار الفقهاء والعلماء في تلك الحقبة الزمنيَّة.

هيمنت على شعره العاطفة الدينيَّة، فاتَّخذ من أعلام المذهب وتاريخه مصدرًا

يستقي منه الموضوع والفكرة والصورة والسياق والمعنى، ويحرص على إيراد مصطلحاته ومواقفه عبر التاريخ[٣٠].

ويجب أَلَّا ننسى بِأنَّ الشاعر أصلُهُ مِن الحِلَّة، وكانت الحِلَّة ولاتزال مِن أَهمِّ مراكز الشيعة على صعيد العلم والأدب والثقافة، فكان لِلشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ أثرٌ مهمٌّ وإيجابيٌّ في نُهوض الأدب الملتزم في هذه الحقبة، فإنَّهُ دافَعَ عن العقائد الشيعيَّة وأفكارهم، وتجلَّى هذا الأمر في أَشعاره ومعانيه الشعريَّة التي هي في مدح أَهل بيت النبوَّة عليهم السلام ورثائهم، وذكر فضائلهم.

المبحث الرابع

أَهمُّ جوانب رثاء الإمام الحسين عليه السلام في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ

السيِّد حيدر الحِلِّيّ قبل أن يكون شاعرًا وأديبًا كبيرًا، فإنَّهُ كان مِن كبار علماء المدرسة الجعفريَّة، فكان شعره صورة واضحة عن أَهدافه الروحيَّة وأغراضه، واتَّخذ الشعر وسيلة للعروج إلى السماء، ويثبت لنا بأَنَّ للشعر عنده درجة عالية سامية، فَمِن هذا المنطلق، وبالنظر إلى ما أسلفناه في بداية الحديث عن جوانب هذا الحدث المهمِّ، وجدنا بأنَّ من الواجب علينا أن نعطي صورة واضحة مختصرة عن دور هذا العالم الكبير في مجال أدب الطفِّ.

لقد تطرَّقنا في هذه الدراسة إلى أهمِّ جوانب أغراض شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ، ألَا وهو رثاء الإمام الحسين عليه السلام، فإنَّ الشاعر صَوَّرَ مشهد واقعة الطفِّ تصويرًا دقيقًا، بسحر تخييله الشعريّ الخلَّاب الذي يأخذ بمجامع القلوب، وكان تعبيرهُ في هذه القضية تعبيرًا عاطفيًّا وقَّادًا يؤجِّج لهيب نيران الحزن الرساليّ في النفوس، ويوقظ فيها مشاعر الثورة ومعاني التحرُّر.

فَفِي هذا القسم، قمنا بقراءة جميع الأَبيات المنسوبة إلى الإمام الحسين عليه السلام، ومِن ثمَّ قُمنا بدراسة الأَبيات ذات الصلة بِموضوع بحثنا هذا، وهي كالآتي:

أولًا: التذكير بنسب الإمام الحسين عليه السلام الشريف

ممَّا لا غبارَ عليه أَنَّ الإمام الحُسين عليه السلام مِن سلالة آباء كِرام، وكُلُّهم سادة وقادة، ولهُم مكان مكين ومقام عظيم بين العرب وسائر المسلمين، لذا عِند قِراءَتنا هذه الأَبيات نَحسُّ بِمشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ المرهفة تجاه أَهل بيت النبوة عليهم السلام، مَع قُوَّة البيان وبراعة الأُسلوب التي في شِعره، فأَكَّد الشاعرُ على نَسَبِ الإمام الحُسين عليه السلام الشريف؛ لِيصوِّر لِلمتلقِّي فَخامة شأن أَهل بيت الرسالة عليهم السلام، ومكانتهم الفريدة عند المسلمين، مُشيرًا إلى تَجاهل الأَعداء مزية النسب الشريف ومنزلته المرموقة، وَكفى بالإمام الحسين عليه السلام فخرًا أَنَّهُ سبط الرسول الأَكرم صلى الله عليه وآله:

وَهُمْ خَيرُ مَنْ تَحتَ السَّماءِ بأَسرِهِمْ
وَأَكرمُ مَنْ فَوقَ السَّماءِ وأَشرَفُ[٣١]

وَمن الجديرِ بِالذِّكر هُنا هُوَ أَنَّ الشاعر في هذا البيت أَشارَ أَيضًا إلى أَبرزِ الصفات التي انماز بِها أَهل بيت النبوَّة عليهم السلام طوال حياتهم المباركة، أَلَا وَهي صفة الكرم والسخاء، فكان الإمام أَمير المؤمنين عليه السلام يَسعى جاهِدًا لإِشباع جوع الفقراء وإِغاثتهم في سبيل الله، قالَ اللهُ الحكيم في محكم كتابه الكريم: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٣٢].

فأَكَّدَ السيِّد حيدر الحِلِّيّ مَرَّةً أُخرى على النسب الشريف في الأَبيات الآتية، ولكن الشيء الأَهمّ هنا هو إفادة الشاعر من استعارة جميلة في الشطر الثاني من البيت الأَوَّل، والمقصود من ذلك هم أَهل الإسلام الحقيقيُّون وأَهل الصلاة؛ وَذلك لِبيانِ أَهميَّة الموضوع، قائلًا:

[مجزوء الكامل، والقافية من المتواتر]

وبَـــنـــوا الـــسَّـــفـــاحِ تَحـكَّـمـوا
في أَهـــلِ حـــيَّ عـلـى الـفـلاحِ
وبِـسـبـطِ أَحمـــدَ عليه السلام أَحـدقَـتْ
بِـشَـبـا الـصَّـوارمِ والـرِّمـاحِ[٣٣]

الإمام الحُسين عليه السلام في شعر السيِّد حيدر هو الأَسد الهمام والبطل المقدام الَّذي لم يَسجد طِوال حَياته المباركة لِغير الله، وممَّا لا غبارَ عليه أَنَّ في هذه الأَبيات دلالة صريحة على أَفضليَّة الإمام الحُسين عليه السلام لأَمرِ الخلافة، وتقدُّمِه على الآخرين، يقول الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ:

[من الطويل، والقافية من المتدارك]

أَعِـد نَـظَـرًا نَـحـوَ الخِـلافَـةِ أَيَّـما
أَحَـقُّ بِـأَن تَـصـفـو عـلـيـهِ ثـيـابُـها
أَمَـن هـو نـفـسٌ لـلـنـبـيِّ؟ أَم الَّـتـي
لـهُ كـان داءًا سِلمُها واقـتـرابُـهـا؟[٣٤]

الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ في استخدامه هذه العبارات «أَهـلِ حيَّ على الفلاحِ» وَ«سـبطِ أَحمدَ عليه السلام»، وَ«نفـسٌ للنبيِّ»، يُعبِّر عَـن مكانة الإمام الحسين عليه السلام الفريدة عند النبيّ صلى الله عليه وآله بشـكلٍ خاصٍّ، وعند المسلمين بشـكلٍ عامٍّ، والتنبيه إلى أحقيَّة الخلافة في أهل الهدى عليهم السلام.

ثانيًا: ذِكر قساوة قلوب السلطة المعادية للإسلام

الشاعر السيِّد حيدر يُصوِّر هُنا شِدَّة مُعاناة الإمام الحُسين عليه السلام وأَهل بيته الكرام عليهم السلام على رمضاء كربلاء، هذه الأَرض الواسعة التي لا ماء فيها ولا كلأ، فأَشـارَ الشـاعرُ

إلى عظمة المصيبة، وعطش الإمام الحُسين عليه السلام ضمنًا؛ ليُزيلَ الستارَ عن حقيقة السلطة الأُمويَّة المعادية لِلإسلام، وقَساوة قُلوب جلاوزة يزيد الكَفَرة الفَجَرة، فَكأَنَّ الإمام الحُسين عليه السلام سأَلهم لِيسقوه شُربة مِن الماء، ولكنهم لم يعطوه:

[من الكامل، والقافية من المتدارك]

فَوديعةُ الرحمنِ بين عبادهِ
قدْ أَودعتهُ أُميَّةٌ رمضاءَها
صرعتهُ عطشانًا صريعةُ كأسِها
بتنوفةٍ سدَّت عليه فضاءَها[٣٥]

وقال الشاعر في هذا المضمار أَيضًا:

[من الرمل، والقافية من المتواتر]

قتلتَ صبرًا على مشرعة
وجدت فيها الردى أصفى سجالا
يوم آلت آل حرب لا شفت
حقدها إن تركت لله آلا[٣٦]

[من البسيط والقافية من المتراكب]

حنت وبين يديها فتية شربت
من نحرها نصب عينيها الضبا الخذمُ
موسدين على الرمضاء تنظرهم
حرى القلوب على ورد الردى ازدحموا[٣٧]

وَفي جانب آخر مِن القصيدة، يُصَوِّر الشاعر لنا أَيضًا هذا المشهد المؤلم وَهول

المصاب بِصورة أُخرى، مُندِّدًا بِالأُمويِّين، ومُشيرًا إلى الشدائد والنكبات التي تعرَّض لها آل البيت الأَطهار عليهم السلام في معركة الطفِّ الداميَّة على أَيدي أُناسٍ يزعمون أَنَّهم مسلمون والإِسلام مِنهُم براء، فإِنَّ جلاوزة يزيد حالوا بين الإِمام الحسين عليه السلام وأَصحابه النُجباء، وبين الماء، ومنعوهم أَن يستسقوا مِنهُ قطرة:

[من الكامل، والقافية من المتدارك]

وقُلوب أَبناء النبي صلى الله عليه وآله تفطَّرت
عَطَشًا بِقفرٍ أَرمَضَت أَشلاءَها[٣٨]

وكما أَنشد الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ في قصيدة أُخرى قائلًا: [من الطويل، والقافية من المتدارك]

كَجمرِ الغضا أَكبادُهُنَّ مِن الظَما
بِقَفرٍ لُعابُ الشَّمسِ فِيهِ شَرابُها
تُرَدِّدُ أَنفاسًا حِرارًا وتَنثني
لها عَبَراتٌ ليس يُثنى انصِبابُها[٣٩]

الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ في استخدامه مفردة «جمرِ الغضا» وَ«أَنفاسًا حَرارًا»، أَرادَ أَن يُعبِّر عَن مَدى مَظلوميَّة الإِمام الحسين عليه السلام وأَصحابه وأَهل بيته عليهم السلام. وَمِن هُنا نَرى بأَنَّ هذه الكلمات هي مؤَشر واضح على الاضطهاد الَّذي تَعرَضَ لَهُ الإِمام الحسين عليه السلام وأَهل بيت الرسالة عليهم السلام، وإِذا نظرنا مِن جانب آخر إِلى هذه القضية، فإِنَّها تدلُّ على قساوة قُلوب جلاوزة يزيد المتحجِّرة، وفظاظتهم؛ ولذا فَمِن الطبيعيّ أَن تفتَّ هذه المحن والملمَّات التي تعرَّض لها أَهل البيت عليه السلام في معركة الطفِّ حشا الصابر.

فالمحن والنكبات التى تعرَّضوا لها تفتُّ القلوب، وتُدمي قلوب جميع البشر، وهذه من المصائب التي لا ينشد الصبر في مثلها، بحيث لم ينجُ أيّ أحدٍ من هذا الاضطهاد الأمويّ، فعندما طلب الإمام الحسين عليه السلام شربة من الماء لولده الرضيع الذي جفَّ ريقه عطشًا، كان الردُّ هو ذلك السهم المسموم الذي ذبحه في حِجر أبيه، فأخذ يرفرف كالطير المذبوح من شدَّة الألم:

[من البسيط، والقافية من المتراكب]

فحَمْل أمِّكَ قِدمًا أسقَطوا حنقًا

وطفل جدِّك في سهم الردى فطموا[٤٠]

وقالَ الشاعرُ أيضًا في هذا المضمار منشدًا:

[من مجزوء الكامل، والقافية من المتواتر]

أتـــــرى تجـــــيء فـجـيـعـة

بـأمـضَّ مـن تـلـك الـفـجـيـعـه

حـيـث الحـسـين عـلى الـثـرى

خـيـل الـعـدى طـحـنـت ضـلـوعـه

قـتـلـتـه آل أمـيَّـة

ظـام إلى جـنـب الـشـريـعـه

ورضـيـعـه بـدم الـوريـد

مخـضَّـب فـاطـلـب رضـيـعـه[٤١]

ثالثًا: الإباء و الشجاعة

إنَّ كربلاء كانت ولاتزال مَنارة البطولة والفداء، ومَنهج حياة لِلبشريَّة جَمعاء

على مَرِّ العصور. تحدَّثَ الشاعرُ هُنا عَن بُطولة الإمام الحسين عليه السلام الجسديَّة وبسالته في ساحة الوغى، التي أَظهرها في مواجهته مَع الطُغاة وجبابرة الدهر، وتحدَّث الشاعر عن بلائه العظيم في المعارك، ورفضه لِلإذعان لِقوى الشرِّ دفاعًا عَن الحقِّ والقيم الإنسانيَّة المثلى، فإنَّهُ كان مُستعدًّا لِقبولِ أَي مكروه، فكان سيِّد شباب أَهل الجنة عليه السلام لا يخشى مُواجهة العدوِّ وجهًا لِوجه، فَقد حاربَ الإمام الحسين عليه السلام وأَصحابه النجباء، الطغيانَ بِالشجاعة والعزَّة، وأَبلوا بلاءً حسنًا وعظيمًا، وقدَّموا أَنفسهم فداءً لِدينهم وأُمَّتهم بِعِزَّة وكبرياء، مَع أَنَّهم لا يأَملون نصرًا عسكريًّا؛ لأَنَّ الموت في سبيل الحقِّ هُوَ الانتصار العظيم الَّذي مِن خِلاله تُخلَّد مَبادئ الثورة الحسينيَّة، وَهذا هُوَ ما أَكَّدَ عليه الله عزَّ وجلَّ في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤٢]، قال:

[من الخفيف، والقافية من المتواتر]

كُلَّما سالَتِ الكِفاحُ حديدًا
عَلَّمَ الرَّاسياتِ كيفَ الثَّباتُ

مُنتضٍ للوغى صفيحةَ عزمٍ
وهو تلك الصَّفيحةُ المنتضاةُ

إن يَمُت فالفِرندُ ذاك الفِرندُ ال
مُجتَلى والشَّباةُ تلك الشَّباةُ

كَفَلَتهُم بِحجرِها الحربُ قِدمًا
والمواضي عليهم حانيات

وإذا ما انتسبتَهُم فَفَتاهُم
أَبَواهُ الهيجاءُ والمرهفاتُ[٤٣]

وَأَنشدَ السيِّد حيدر الحِلِّيّ أَيضًا في هذا المعنى أَبياتًا صَوَّرَ لنا فيها جَوانب أُخرى مِن بسالة الإِمام الحسين عليه السلام في ساحة الوغى، ويَجب علينا أَن نُشير هُنا إِلى بعض هذه الصور البطولية، وهي كالآتي: «أَبو الأَشبالِ»، و«جيشًا مِن الأَجلِ المتاحِ»، و«يَلقى الكتيبةَ مُفردًا»، و«تفِرُّ دامية الجِراحِ». أَرادَ الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ بتجسيده هذه الصور الشعريَّة أَن يُعبِّر عن بسالة الإِمام الحسين عليه السلام وشجاعته:

[من مجزوء الكامل، والقافية من المتواتر]

ظَنَّت بما اقترحَت عَلَيـ
ـهِ أَن يَخيمَ مِن الصِّفاحِ
فَمَتى أَبو الأَشبالِ رُوّ
وعَ يا أُمِيَّةُ بالنُّباحِ
فَزَحَفتِ في جُندِ الضَّلا
لِ إِلى ابنِ مُعتَلِجِ البطاحِ
فَلَقيتِ مِن عَزَماتِهِ
جيشًا مِن الأَجلِ المتاحِ
وغَدا يَقي دِينَ الإِلـ
ـهِ بِحُرِّ وَجهٍ كالصَّباحِ
يَلقى الكتيبةَ مُفردًا
فَتفِرُّ دامية الجِراحِ
وإِذا دعوا: حيدي حَيا
دِ دَعا بِحيَّ على الكفاحِ(٤٤)

وَكرَّرَ الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ تصوير الروائع مِن هذه البطولات الملحمية في قصيدة أُخرى منشدًا:

[من الطويل، والقافية من المتدارك]

وهم يكشفون الخطب لا السيف في الوغى
بأمضى شبا منهم، ولا هو أرهفُ
إذا هتف الداعي بهم يوم من دم
الفوارس أفواه الضبا تترشَّفُ
أجابوا ببيض طائعًا يقف القضا
إلى حيث شاءت ما يزال يصرَّفُ
ومن تحتها الآجال تسري وفوقها
لواء من النصر العزيز يرفرفُ
لهم سطوات تملأ الدهر دهشة
وتنبث منها الشم والأرض ترجفُ(٤٥)

أَشادَ الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ هُنا بِما بذلهُ الإمام الحسين عليه السلام وأَصحابه مِن أَجلِ مُكافحة الطُغاة وَجبابرة الدهر، وَمِن هذا المنطلق فإِنَّ الإمام الحسين عليه السلام وأَصحابه الكرام أَبوا الذُلَّ والهوان والحياة مَع الظالمين، وكانوا مُستعدين ليضحُّوا بِالغالي والنفيس، فَتمكَّنوا مِن إرضاخ العدو أَمام مطالبهم وغاياتهم، وَكسبوا الحياة الخالدة فانتصرَ الدَّمِ على السيف، وأَصبَحَت مَبادئ هذه الثورة الحُسينيَّة مِن أَهمِّ الأُسس الدينيَّة، وَالمرتكزات الثقافية لِلمسلمين والبشريَّة بشكلٍ عام، ولِلشيعة بشكلٍ خاص. لقَد صَوَّر لنا الشاعرُ الإمام الحسين عليه السلام وأَصحابه الكرام بِصفتهم رمزًا لِلبسالة والمقاومة، بِصورة السباع الضواري، ثُمَّ صَوَّرَ القومَ الَّذين في جبهة الباطل بِصورة الأَشخاص الضعفاء، ومِن هُنا نَرى بِأَنَّ الشاعر باستخدامه هذا التشبيه أَعطى لِقصيدته

جمالًا وابتكارًا:

[من البسيط والقافية من المتراكب]

مشوا إلى الحرب مشي الضاريات لها
فصارعوا الموت فيها والقنا أجمُ
ولا غضاضة يوم الطفِّ أن قتلوا
صبرًا بهيجاء لم تثبت لها قدمُ
فالحرب تعلم إن ماتوا بها فلقد
ماتت بها منهم الأسياف لا الهممُ(٤٦)

وَأَنشَدَ الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ مَرةً أُخرى في هذا السياق قائلًا:

[من البسيط، والقافية من المتراكب]

يوم تجهم وجه الموت فيه وقد
لاقى ابن فاطمة جذلان مبتهجا
في فتية كسيوف الهند قد فتحوا
من مغلق الحرب في سمر القنا الرتجا
وأضرموها على الأعداء ساعرة
ثمّ اصطلوا دونه من جمرها الوهجا
ضراغمُ إن دَعا داعِي الكفاح بهم
نزى من الرعب قلب الموت واختلجا
ما فوخروا في الوغى إلَّا قضت لهم
غمارها أنهم كانوا لها ثبجا(٤٧)

كرَّرَ الشاعر لنا في هذه القصيدة تصوير بسالة الإِمام الحسين عليه السلام وشجاعته في هذه

الملحمة البطوليَّة، وَهُوَ يَحصدُ رؤوس الأَعداء ولا يخشى الموت، فَعبست وجوه القوم خوف الموت؛ لأَنَّهم أشرفوا على الهلاك:

[من الكامل، والقافية من المتواتر]

لما طليقة جده وردت
لقتاله يقتادها رجسُ
يلقى الرماح بصدره وكأن
يوم الكريهة صدره ترسُ
فالشوس تأنس بالفرار كما
بالموت منه تأنس النفسُ
ويروم كلٌّ سبق صاحبه
هربا فيسبق جسمه الرأسُ
للمرهفات نفوسهم وجسومهم
للوحش لم يشقق لها رمسُ(٤٨)

رابعًا: ضلالة اتباع زمرة يزيد وَوصف فضاعة أعمالهم البشعة

يُصوِّر لنا الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ في هذه الأَبيات حال جلاوزة يزيد الكفرة الفجرة في عدم انصياعهم لِلإيمان وَالإِسلام، وفي ذلك دليل على مُخالفتهم لأَوامر الإِسلام وَالانقياد لأَوامر قادة الطُغاة، ووقوعهم في ظُلمات الضلالة، واتِّباعهم لأَهوائهم وشهواتهم وإيثارها على الحقِّ، وتسليمهم لأَوامر أَجهزة السلطة الحاكمة. كما وصفهم الله بِذلك في آيات بيِّنات، وحُجج نيِّرات، وبراهين ساطعات، مِنها قَولهُ تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ

أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾(٤٩).

قال الشاعر:

[من الكامل، والقافية من المتدارك]

إِذ أَلـقَـحَ ابـنُ طَـليـقِ أَحمدَ ﷺ فتنةً
وَلَـــدَت قُـلُـوبُهُـمُ بهـا شـحـنـاءَهـا
حَـشَـدَت كتائِبَها على ابـن محمَّدٍ عليه السلام
بـالـطَّـفِ حَـيـثُ تَـذَكَّـرَت آبـاءَهـا
يَـلـقـى ابـنُ مُـنـتَـجَـعِ الـصـلاحِ كتائبًا
عَـقَـدَ ابـنُ مُنتجعِ السَّفاحِ لـواءَهـا(٥٠)

وَأَنشَدَ الشاعرُ مَرةً أُخرى في هذا الصدد مخاطبًا جلاوزة يزيد الكفرة:

[من الطويل، والقافية من المتدارك]

أمـيـة هبي مـن كـرى الـشرك وأنـظري
فـهـل أسرت لـلأنـبـيـاء عـقـائـلُ
فـما لـلـنـسـاء المـحـصـنَّـات وَلـلـسرى
تجـوب بهـا الـبـيـداء عـيـسٌ هـوازلُ
ومـــا لـبـنـات الـــرســـول ولـلـظـما
بـقـفـر بـه لـلـحـر تـغـلي مـراجـلُ(٥١)

يُشير الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ في هذه القصيدة إلى انحراف السلطة الأُمويَّة وجلاوزتهم، وما فعلوه مِن أَعمال شاذَّة بِحقِّ أَهل بيت النبوَّة عليهم السلام، وَما تعرضَ لَهُ آل بيت الرسول عليهم السلام مِن أَعمال تَعَسفيَّة وظلم ممنهج ضدّهم، وَما نالهم مِن قَتلٍ ذَريعٍ، وسبي وتنكيل لِلنساء وهَتك لِلحُرمات؛ بِحيث آذوا الإِمام الحُسين عليه السلام وأَهله وأَصحابه يوم

عاشوراء، وَداست الخيل ذلك الجسد الشريف، وَوُسِّدَ هذا الجسد الطاهر على رمضاء كربلاء، مِن غَير أَن يرعى لأَهل البيت عليهم السلام حُرمَة. وتحدَّثَ الشاعِرُ في هذه القصيدة أَيضًا عن لحظة استشهاد الإِمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام، وطريقة تَعامُل هذه العصابات الإجرامية مَع حامل الرسالة المحمَّديَّة، مُشيرًا إِلى قلوب جلاوزة يزيد التي هي كالحجارة أو أشدُّ قَسوةً، ولقَد تحجَّرت في قلوبهم الغليظة كُلُّ معالم الإِنسانية، بِحيث كانوا يضربون الإِمام الحسين عليه السلام وأَصحابه النجباء بِالرماحِ والسيوف حتى لفظوا أَنفاسهم الأَخيرة، ثُمَّ أَقبل القومُ على سلبهم، فَنهبوا مطارفهم بعد استشهادهم، قال الشاعر:

[من الكامل والقافية من المتدارك]

ما حالُ عافرةِ الجِسومِ على الثَّرى
نهبت سيوفُ أُمـيَّةٍ أَعضاءَها
هتك الطُغاةِ على بناتِ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله
حُجُبَ النُّبُوَّةِ خِدرَها وخِباءَها
فَتنازعت أَحشاءَها حُرَقُ الجَوى
وتَجاذَبَت أَيدي العدوِّ رِداءَها[٥٢]

ومن الجدير بالذِّكر هنا هو إِفادة الشاعر في هذه الاستعارات لوصف أَعمال يزيد وجلاوزته الوحشيَّة، وهي كالآتي: «نهبت السيوفُ»، و«تنازعت أَحشاءَها».

وَكما قال السيِّد حيدر في هذا الحقل منشدًا:

[من الكامل، والقافية من المتدارك]

فَكَسَتهُ مسلوبَ المطارفِ نَقعَها

وسَقَتهُ ظمآنَ الحَشا سَمراءَها[٥٣]

وَمِن ذلك أَيضًا قَول الشاعر:

[من الطويل، والقافية من المتواتر]

فنادت عليه حين ألفته عاريًا

على جسمه تسفي صبا الريح ما تُسفي[٥٤]

صَوَّرَ لنا السيِّد حيدر جَوانب أُخرى مِن مظلوميَّة الإمام الحسين عليه السلام وأَهل بيته الكرام عليهم السلام في الأَبيات المنصرمة، ويَجب علينا أَن نُشير هُنا إِلى بعض مِن هذه الصور المأَساوية، وهي كالآتي: «ترك الجسد الشريف مُقطعًا بِالسيوف إِربًا إِربًا على رمضاء كربلاء»، و«انتهاك حرمات الله»، و«عطش بنات آل الرسول صلى الله عليه وآله»، و«سلب المطارف». أَرادَ الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ مِن خِلال تجسيده لهذه الصور الشعرية أَن يُعبِّر عن الأَحاسيس الحزينة الكامنة في أَعماقه؛ لِكي يُساهِم بِالأَجرِ مَع الموالين، ويُشاطرهم أَلمهم وأَحزانهم في هذا المصاب الجلل.

أَكَّدَ الشاعرُ بهذه الأَبيات قساوة قُلوب الأَعداء، وكيف أَنَّهم لم يُراعوا لآل بيت الرسول عليهم السلام حُرمة، فإِنَّ جلاوزة يزيد بأَعمالهم الشنيعة وقتلهم للإِمام الحُسين عليه السلام وأَصحابه الكرام، كأَنَّما أَردوا الحُصول على الخُلود الأَبديّ، ولكن سرعان ما تبدَّدت أَحلامهم، وظهرت لهُم الحقيقة، فَكانت كُلُّ مَساعيهم هَباءً مَنثورًا.

وذكر الشاعر أيضًا أَنَّ ظلم الإمام الحسين عليه السلام هو ضمن سلسلة الظلم القديم لمحمَّد وابنته فاطمة عليهما السلام، بحيث رُضَّ ضلع فاطمة عليها السلام بعد اقتحام بيتها وإحراق

بـاب دارها بالنـار وعصرها وراء الباب. ةقد أشـار الشـاعر بذلك إلى مَدى شَراسـة وفَظاظة زمرة يزيد المارقة في تعاملهم مَع الإمام السجادعليه السلام، فإنَّهم لم يرحموا حتَّى عليل كربلاء، فَكان الإمام زين العابدينعليه السلام مُقيَّدًا بِالحديد وَيَحدو بِهِ الأَعداءُ مِن بلدٍ إلى بلد، فاسـتباحُوا الحُرمات وسَفكوا الدماء وارتوت رمال صحراء كربلاء مِن دماء الشهداء، وهُـم أَجسادٌ وأَشـلاءٌ مَطروحةٌ على رمضاء كربـلاء، وإذا نظرنا إلى هـذه القضية مِن جانـب آخـر فَسنجد أَنَّ جـلاوزة يزيد هتكوا أَيضًا سُـتور نِساء آل بيت الرسـولعليه السلام، وضربوهـنَّ بِالسياط غير مُكترثين بِحرمتهنَّ، فَكان قلب السيِّدة زينبعليها السلام مُتصدِّعًا مِن الحُزن والأَسـى؛ لما شـاهدتهُ مِن أَحداث فادحة ومؤلمة في معركة الطفِّ الداميَّة، بحيث كان أَهـل بيتها مُضرَّجين بِدمائهم حَولها، ورؤوسـهم أَمامها على رؤوس الرماح طول الطريق، فَاغرورقت عيناها بِالعبرات حُزنًا على أَهل بيتهاعليها السلام، قال الشاعر:

[من الطويل، والقافية من المتدارك]

فـيـوم غـــدوا بـغـيًـا عـلى دار فـاطـم
أتـــت جـنـدهـم بـالـغـاضرية تـزحـفُ
وقتل ابنها مـن يـوم رضـت ضلوعها
ومـن هتكها هـتـك الـفـواطـم يـعـرفُ
ومن يوم قـادوا حيدر الطهر قد غدوا
بهـن أســـارى شـأنهـن الـتـلـهُّـفُ
فـمـن مخـبر المـخـتـار أن بـقـيـة الـ
آلَ الـفـتـى الـسـجـاد بـالـقـيـد يـرسـفُ
ومـــن مـبـلـغ الـــزهـــراء أن بـنـاتـهـا
عـلـيـهـا الـرزايـا والمـصـائـب عُـكَّـفُ

تـطـوف بهـا الأعـــداء في كـلِّ بـلـدة

فـمـن بـلـد أضـحـت لآخـر تـقـذفُ

إذا رأت الأطـفـال شعثًا وجوهها

وألـوانها مـن دهشة الـرزء تخـطـفُ(٥٥)

وأَنشدَ الشاعرُ أَيضًا في هذا السياق قائلًا:

[من مجزوء الكامل، والقافية من المتواتر]

وبـنـــاتُ فاطمةٍعليها السلام غَـــدَت

حَـــسرى تَجـــاوَبُ بـالـنِّـيـاحِ

أَضـحَـت بـأَجـرَدَ صَـفـصَـفٍ

مُـتـوَقِّـدِ الـرَّمـضـاءِ ضـاحِـي(٥٦)

وَتَكلَّمَ الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ أَيضًا في هذه القصيدة على فَظاعة ما أَصابَ السيِّدة العقيلةعليها السلام مِن مُلمات، مُصوِّرًا قَساوة أَعداء الإِسلام في كربلاء، وَ ما تمخَّض عنها مِن بُكاء السيِّدة زينبعليها السلام حُزنًا على أَهل بيتهاعليهم السلام؛ وَذلك لما ارتكبتهُ هذه العصابات الإجراميَّة مِن جَرائم و فَظائع في كربلاء، ولمستها السيِّدة زينبعليها السلام بِأَيديها عن كثب، و هذه مِن المصائب التي لا ينشد الصبر في مثلها، بِحيث لم ينجُ أَيّ أَحَدٍ مِن هذا الاضطهاد الأُمويّ، فَضَجَّت السيِّدة الطاهرةعليها السلام بِالنَّحيب:

[من الطويل، والقافية من المتواتر]

وقد كان من فرط الخفارة صوتها

يغض، فغض اليوم من شدِّة الضعفِ

وهـاتـفـة نـاحـت عـلى فـقـد إلـفـهـا

كما هتفت في الـدوح فاقدة الألـفِ(٥٧)

وقال الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ أَيضًا:

[من الرمل، والقافية من المتواتر]

ونـــــواع بـــــرزت مـــن خـدرهـا

تـلـزم الأيـــدي أكـــبـــادًا وجـالا

كـــم عـــلى الـنـعـي لهـا مـــن حنة

كـحـنـين الـنـيـب فـارقـن الـفـصـالا

كـبـنـات الـــدوح تـبـكـي شـجـوهـا

وغـــوادي الـدمـع تـنـهـلّ انهـــلالا(٥٨)

بـدأت غربـة السيِّدة زينـب عليها السلام بعد قتـل أُمها السيِّـدة الزهراء عليها السلام، ثـمَّ ازدادت باستشـهاد أبيها الإمام عـليّ عليه السلام وأخيها الحسن عليه السلام، لكن عانت الغربـة بما تعنيه الغربة ومـا تحمل مـن ألَم حين قتـل الإمام الحسين عليه السلام، وسُـبيت وشُـتمت وأُحرقـت الخيام وضُرِبت الأَيتـام وقُتل كافلها وحادي ضعنها وحاميهـا العبَّاس عليه السلام، كانت مخدَّرة بني هاشـم عليهم السلام، لا يرى ظلُّها ولا يسمع صوتها أَحـد، ولكنَّها رجعت محنيَّة الظهر، مسودَّة المتن، مغـبرَّة الوجه، ومكسورة مهضومة، بعدما كانت دارهـا عامرة زهيَّة مضيئة بنور أَهل بيت النبوة عليهم السلام، ومن هذا المنطلق قال الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ منشدًا:

[من الكامل، والقافية من المتواتر]

وأجـــل يـــوم بـعـد يـومـك حـل في

الإســـلام مـنـه يـشـيـب كـل جـنـينِ

يـوم سرت أسرى كـما شـاء الـعدى

فـيـه الـفـواطـم مـن بـنـي يـاسـينِ

أبـــرزن مـــن حـــرم الـنـبـي وإنَّـــه

حـــرم الإلـــه بـــواضـــح الـتـبـيـنِ

مـن كـلّ محـصـنـة هـنـاك برغـمـها

أضـحـت بـلا خـدر ولا تحـصـينِ

سلبت وقـد حجب الـنـواظر نورها

عـن حـر وجـه بـالـعـفـاف مـصـونِ

قـذفـت بهـن يـد الخـطـوب بقـفـرة

هـيـماء صـالـيـة الهـجـير شـطـونِ

فـغـدت بهـا جـرة الـظـهـيرة بعـدمـا

كـانـت بـفـيـاح الـظـلال حـصـينِ[٥٩]

وَذكـرَ لنا الشـاعر السيِّـد حيدر الحِـلِّيّ أَيضًـا في هذه الأَبيـات أَحـوال أَهل بيت الرسـالة عليهم السلام عِند الإِسـارة، مُصوِّرًا بها الاضطهاد الَّذي تَعَرضـوا لَهُ، وَما جرى عليهم مِن محِن شاقَّة ومصائب جسيمة ارتكبها هؤلاء الكفرة الفجرة، وَكيف تعاملوا مَع عليل كربلاء- الإِمام زين العابدين عليه السلام- كما أَسـلفنا، وَيُشـير الشاعرُ أَيضًا في القصيدة الآتية إِلى سَـبي نِساء أَهل البيت عليهم السلام، وكيف يَحدو بِهنَّ الأَعداء مِـن بلدٍ إِلى بلد وَقَد هُتِكَت سُتورهنَّ، قائلًا:

[من الطويل، والقافية من المتدارك]

بـلا كـافـلٍ تـطـوي المـهـامِـهَ في الـسُّرَى

وأَنَّـــى لهـا بـعـد ابـنِ أحـمـدَ كـافـلُ[٦٠]

[من السريع، والقافية من المتدارك]

تُساقطُ الأَدمُعَ أَجفانُها
كالجمرِ عن ذوبِ حشا أَلهَبا
فَدَمعُها لو لم يكن مُحرقًا
عادَ بِهِ وجهُ الثَّرى مُعشِبا(٦١)

[من الكامل، والقافية من المتدارك]

عجبًا لِحلمِ اللهِ وهي بِعينِهِ
بَرَزَت تُطيلُ عويلَها وبُكاءَها(٦٢)

خامسًا: عدم نصرة الإمام الحُسين عليه السلام

يستمرُّ الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ في حديثه عن بسالة الإمام الحُسين عليه السلام وتضحيته في سبيل العزة والكرامة، ثُمَّ ينعطف وَيَقول بِأَنَّ القوم تخلوا عن الإمام الحسين عليه السلام ولم ينصروه، فَهكذا وقف الأُمويون في وجه سبط الرسول صلى الله عليه وآله وحامل الرسالة المحمدية، وهُوَ مُنفردٌ وَحيدٌ غَريبٌ في ساحة المعركة لا ناصِرَ لَهُ ولا مُعِين؛ ويُشير الشاعرُ أَيضًا إِلى فظاعة المصاب والملمَّات، إذ إِنَّهم لم يألوا جُهدًا في إيذاء أَهل البيت عليهم السلام، ولكن الإمام الحسين عليه السلام لم يشعر بهذا الأَمر مِن الناحية المعنوية والعزيمة الصارمة والقيم النبيلة التي كانت لديه، وَذلك لأَنَّهُ يَشعر أَنَّهُ مَعَ الله، ومَن كان مَعَ الله كان الله مَعهُ، وَقالَ اللهُ تعالى في هذا الصدد: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٦٣). قال:

[من الطويل، والقافية من المتدارك]

ومن بعدهم يعسوب هاشم قد غدا
فريدًا عن الدين الحنيف يقاتلُ(٦٤)

وأَنشد السيِّد حيدر في هذا المضمار قائلًا:

[من البسيط، والقافية من المتراكب]

تنعى إليك دماءٌ غاب ناصرها
حتى أريقت ولم يرفع لكم علمُ
مسفوحة لم تجب عند استغاثتها
إلا بأدمع ثكلى شفَّها الألمُ(٦٥)

وَمِن ذلك أَيضًا قَول الشاعر:

[من الطويل، والقافية من المتواتر]

فتلك على الرمضاء صرعى جسومهم
ونسوتهم هاتيك أسرى على العجفِ
وهل يملك الموتور قائم سيفه
ليدفع عنه الضيم وهو بلا كفِّ؟(٦٦)

سادسًا: ذكر هول مُصيبة كربلاء

يَتحدَّث الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ هُنا عن وقائع معركة الطفّ وعلى أَبعاد هذه المأَساة الإِنسانية التي لم يعرف لها التاريخ مثيلًا، فَكانَ الجميع في يوم عاشوراء حَزينًا على مصاب سيِّد الشهداء عليه السلام، وَلقَد ناحَت وبَكت كُلُّ أَملاك السماء وَكانت الجن والطير والوحوش المفترسة أَيضًا تبكي وترثي الإِمام الحسين عليه السلام؛ وَذلك لما جَرى على أَهل البيت عليهم السلام مِن شدائد وَمحن شاقَّة ومصائب جسيمة في ساحة الوغى. قال الشاعر:

[من الكامل، والقافية من المتدارك]

فَـلأَيِّهِـم تَـنعـى المـلائِـكُ مَـن لَـهُ
عَـقَـدَ الإلَـهُ ولاءَهُـمُ وَوَلاءَهَـا؟
أَلآدمٍ تَـنعـى؟ وأَيـنَ خـلـيفَةُ الـ
ـرَّحمـنِ آدَمُ عليه السلام كـي يُـقـيـمَ عـزاءَهـا؟
... لا أبـيـضَّ يـومٌ بَـعـدَ يـومِكِ إِنَّـهُ
ثَـكَـلَـت سَـمـاءُ الـدِّيـنِ فِـيـهِ ذُكـاءَهـا
يـومٌ عـلـى الـدنـيـا أَطـلَّ بِـروعـةٍ
مـلأَت صُراخًـا أَرضَـهـا وسـمـاءَهـا
واسـتَـكَ مَـسـمَـعُ خـافِـقَـيـهـا مُـذ بها
هَـتَـفَ الـنَّـعِـيُّ مُـطَـبِّـقًـا أَرجـاءَهـا[٦٧]

وَقالَ الشاعرُ أَيضًا في قصيدة أُخرى مُنشدًا:

[من مجزوء الكامل، والقافية من المتواتر]

وَتَجـاوبَـت فَـوقَ الـسَّـمـا
غُـرُّ المـلائِـكِ بـالـنِّـيـاحِ
جَـزَعًـا لِـيـومٍ فـيـهِ قـد
غَـلَـبَ الـفـسـادُ عـلـى الـصَّـلاحِ[٦٨]

وَمِن هُنا نَرى بِأَنَّ الشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ في هذه الأَبيات استعار اللفظ الدال على المشبَّه بِه للمشبَّه، ثُمَّ حَذفَ المشبَّه وأَشارَ إِليه بِشيء مِن لوازمه، وهُوَ البكاء والصراخ على طريق الاستعارة بِالكناية، ممَّا يملأُ فُؤادَ المتلقي أَلمًا وحُزنًا، وإثبات ذلك

الأَمر لِلمشبه استعارة تخييليَّة.

هـذه إضمامـة مِن أَهمِّ جَوانـب الرثاء الحُسيني في شـعر السيِّد حيـدر الحِلِّيّ، وَمِن هـذا المنطلـق تَحـدَّثَ الشـاعر في قصائِده عَـن مَدى تأَثُّـره الشـديد بِأَحـداثِ معركة الطـفِّ الداميَّـة وَما تحمـل في طيَّاتها مِن مُلـمَّات وَمَصائب جسيمـة وَنكبات؛ وكذلك بَـثَّ الشـاعر في قَصائِده حُزنـه الكامِن في أَعماقـه، وَذلك لما أَصابَ أَهل بيت الرسـالة في ذلـك اليـوم الدامـي مِـن مُلمات تُفت حشـا الصابـر، وَكيـف تآمرت قـادة الطُغاة وَجَلاوزتهـم الكفرة الفجرة على سِـبط النبيّ الأَكرم صلى الله عليه وآله وَالأَبريـاء العُزل مِن أَهل بيته النُجباء عليهم السلام.

الخاتمة

الخصائص التي اتَّضحت فيدراستنا على ما تقدَّم لرثاء الإمام الحسين عليه السلام في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ، هي كالآتي:

١. صَوَّرَ لنا الشاعر جوانب مِن أحداث معركة الطفِّ الدامية بحذافيرها، ومِن أهمِّ النتائج التي توصَّلنا إليها مِن هذه الدراسة: بيان مظلوميَّة آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، والمحن الشاقَّة والمصائب الجسيمة التي جرت عليهم في زمن السلطة الأمويَّة وجلاوزتهم الكفرة الفجرة، وتجاوز الشاعر في رثائه من ذِكر المأساة والمحن الشاقة والنكبات والمصائب الجسيمة إلى رفض جور واضطهاد السلطة الأمويَّة وأعمالهم التعسفيَّة، والمطالبة بالثورة على قادة الطغاة والهيمنة.

٢. كانت جميع أشعار السيِّد حيدر الحِلِّيّ مرآةً لخلجات نفسه وانتماءاته الفكريَّة وقيمه الدينيَّة، واصفًا حُبّه لآل بيت النبوَّة عليهم السلام؛ لذا سارَ الشاعر على خُطى القدماء في رثاء الإمام الحُسين عليه السلام، جاعلًا الأئمَّة الأطهار عليهم السلام أُسوة حسنة لِلحياة البسيطة المليئة بِالمفاخر، ومِن هذا المنطلق رَسمَ الشاعر بشعره صورة سيِّد الشهداء عليه السلام الحقيقيَّة، مُشيرًا إلى مضامين خُلقيَّة كان يتَّخذها الإمام الحُسين عليه السلام، لِلمِّ شمل المسلمين، مؤكِّدًا على اتِّخاذها اليوم، مِن جملتها الشجاعة، وتحسَّر الشاعر أيضًا في قصائده على الأيام الماضية التي كان

الإسلام فيها بِعزٍّ وشُموخ.

٣. أضاف الشاعر إلى قصائده التي رثى بها الإمام الحسين عليه السلام طابع الابتكار وروعة الجمال، فأخذت قصائده بمجامع القلوب، وذلك ببراعة خلقه للصور الشعريَّة الرائعة التي تواكب التطورات لهذه الحقيقة التاريخيَّة ومَزجها بالطابع الملحميّ الذي ألبَسَ الموضوعَ ثوبًا جديدًا، وجعل لشعره الحسينيّ مكانة متميِّزة متفوِّقة.

٤. حاول الشاعر بمشاعره المرهفة الرقيقة إيصال صورة موجزة إلى المتلقِّي بشكلٍ أو بآخر عن أحداث كربلاء وملمَّاتها التي تُدمي القلوب، متَّخذًا هذا الشيء حافزًا لإثارة أحاسيس القلوب النابضة بالحبِّ لآل بيت النبوة عليهم السلام.

٥. كان الشاعر يمزج عواطفه الصادقة التي تتدفَّق ينابيعها من داخله بألفاظه السهلة البسيطة التي تحمل معاني كبيرة وأغراضًا سامية، فانماز شعره بدقَّة التعبير وبلاغته، وفصاحة وروعة البيان وقوَّته، وجزالة الأسلوب ورصانته ونصاعته، وحسن الصياغة والديباجة، والوضوح في الألفاظ، والبراعة في التصوير؛ ليتَّخذ الشعرَ وسيلةً للوصولِ إلى أهدافه العالية، وهي بيان مظلوميَّة أهل البيت عليهم السلام في معركة الطفِّ الدامية.

هوامش البحث

(١) السيِّد محمَّد رضا الحسينيّ الشيرازيّ، الإمام الحسين عظمة إلهيَّة وعطاء بلا حدود، دار العلوم، كربلاء، د.ت: ٨.

(٢) محمَّد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ط٦، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م: ٩٧.

(٣) جعفر باقر الحسينيّ، تاريخ الأدب العربيّ؛ أدب صدر الإسلام، ط١، دار الاعتصام، قم، ١٤١٦هـ.ق: ٢٤٣.

(٤) پوريانپور، سمير، نوائح نجوم السماء في مصائب عاشوراء، ط١، قم، دار نشر طوباي محبَّت، ١٤٣٥هـ.ق: ٤٣.

(٥) محمَّد سراج الدين، الرثاء في الشعر العربيّ، دار الراتب الجامعيَّة، بيروت، د.ت: ٦.

(٦) ضيف، شوقي، دراسات في الشعر العربيّ المعاصر، ط١٠، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٠٣م: ١٩.

(٧) ضيف، شوقي، شوقي شاعر العصر الحديث، القاهرة، دار المعارف، د.ت: ٤١.

(٨) البارودي، محمود سامي، ديوان البارودي، بِاهتمام عليّ عبدالمقصود عبد الرحيم، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٥م: ١٤٥.

(٩) جواد شبَّر، أدب الطفِّ أو شعراء الحسين عليه السلام، ط١، مؤسَّسة التاريخ، بيروت، ٢٠٠١م: ١/ ١٠-١١.

(١٠) نزار آل سنبل، أهل البيت عليهم السلام في الشعر القطيفيّ المعاصر، المركز الثقافيّ للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م: ١٥٩.

(١١) سورة الحجّ، آية: ٣٢.

(١٢) الشيخ محمَّد مهدي شمس الدين، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبيّ، ط٢، المؤسَّسة الدوليَّة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦م: ١٤٨.

(١٣) سورة الحجر، آية: ٦.

(١٤) عليّ حسين يوسف، الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام في الشعر العراقيّ الحديث، ط١، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة، كربلاء المقدَّسة، ٢٠١٣: ١٧٢.

(١٥) شبَّر، المصدر السابق: ١/ ١٠.

(١٦) شمس الدين، المصدر السابق: ١٤٩.

(١٧) السيِّد حسن نور الدين، عاشوراء في الأدب العامليّ المعاصر، الدار الإسلاميَّة، لبنان، ١٩٨٨م: ٨٣.
(١٨) عليّ كاظم المصلاويّ، الطفيَّات المقولة والإجراء النقديّ، الطبعة الأولى، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، قسم الشؤون الفكريَّة والثقافية، كربلاء المقدَّسة، ٢٠١٢م: ١٨.
(١٩) المصدر نفسه: ٢٥.
(٢٠) السيِّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، حَقَّقهُ وأخرجَهُ حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م: ٦/ ٢٦٦.
(٢١) جواد شبَّر، أدب الطفِّ أو شعراء الحسين عليه السلام: ٨/ ٨.
(٢٢) خير الدِّين الزركليّ، الأعلام، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م: ٢/ ٢٩٠.
(٢٣) الشيخ محمَّد السماويّ، الطليعة من شعراء الشيعة، حَقَّقهُ كامل سلمان الجبوريّ، ط١، دار المؤرِّخ العربيّ، بيروت، ٢٠٠١م: ١/ ٢٩٧.
(٢٤) الأمين، المصدر السابق: ٦/ ٢٦٦.
(٢٥) الشيخ محمَّد عليّ اليعقوبي، شعراء الحِلَّة أو البابليَّات، مطبعة الزهراء، النجف الأَشرف، د.ت: ٢/ ١٥٥.
(٢٦) المصدر نفسه.
(٢٧) الزركليّ، المصدر السابق: ٢٩٠.
(٢٨) السيِّد حيدر الحِلِّيّ، الديوان، تحقيق الدكتور مُضَر سليمان الحِلِّيّ، ط١، دار الأَعلميّ للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١م: ١/ ١٢.
(٢٩) شبر، المصدر السابق: ٨/ ١٥.
(٣٠) عبد العزيز سعود بابطين، شعراء الحِلَّة في معجم البابطين لشعراء العربيَّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، جمعهُ وعلَّق عليه مهدي عبدالأمير مفتن الكطرانيّ، مركز بابل للدراسات الحضاريَّة والثقافية، بابل، د.ت: ١١٢.
(٣١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١٣٣.
(٣٢) المصدر نفسه: ٩٤.
(٣٣) سورة الإنسان، آية: ٨.
(٣٤) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ٧٨.
(٣٥) المصدر نفسه: ٦٧.
(٣٦) المصدر نفسه: ١٤٧.
(٣٧) المصدر نفسه: ١٥٢.
(٣٨) المصدر نفسه: ٧٠.

(٣٩) المصدر نفسه: ٨٣.
(٤٠) المصدر نفسه: ١٥٢.
(٤١) المصدر نفسه: ١٢٩-١٣٠.
(٤٢) سورة المنافقون، آية: ٨.
(٤٣) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ٨٨.
(٤٤) المصدر نفسه: ٩٤.
(٤٥) المصدر نفسه: ١٣٣-١٣٤.
(٤٦) المصدر نفسه: ١٥٢.
(٤٧) المصدر نفسه: ٩٠.
(٤٨) المصدر نفسه: ١٢١.
(٤٩) سورة المائدة، آية: ٧٠.
(٥٠) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ٦٧.
(٥١) المصدر نفسه: ١٤٣.
(٥٢) المصدر نفسه: ٧٠-٧١.
(٥٣) المصدر نفسه: ٦٧.
(٥٤) المصدر نفسه: ١٣٩.
(٥٥) المصدر نفسه: ١٣٥-١٣٦.
(٥٦) المصدر نفسه: ٩٥.
(٥٧) المصدر نفسه: ١٣٩.
(٥٨) المصدر نفسه: ١٤٩.
(٥٩) المصدر نفسه: ١٦٥.
(٦٠) المصدر نفسه: ١٤٢.
(٦١) المصدر نفسه: ٨٦.
(٦٢) المصدر نفسه: ٧١.
(٦٣) سورة محمَّد، آية: ٧.
(٦٤) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١٤٢.
(٦٥) المصدر نفسه: ١٥٢.
(٦٦) المصدر نفسه: ١٣٨.
(٦٧) المصدر نفسه: ٦٥-٦٦.
(٦٨) المصدر نفسه: ٩٤.

المصادر و المراجع

* القرآن الكريم.

١. آل سنبل، نزار، أهل البيت عليهم السلام في الشعر القطيفيّ المعاصر، المركز الثقافيّ للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م.

٢. ابن منظور، محمَّد بن مكرم، لسان العرب، ج٥، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م.

٣. الأمين، السيِّد محسن، أعيان الشيعة، حَقَّقهُ وأخرجَهُ حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م.

٤. بابطين، عبد العزيز سعود، شعراء الحِلَّة في معجم البابطين لشعراء العربيَّة في القرنَين التاسع عشر والعشرين، جمعهُ وعلَّق عليه مهدي عبد الأمير مفتن الگطرانيّ، مركز بابل للدراسات الحضاريَّة والثقافيَّة، بابل، د.ت.

٥. البارودي، محمود سامي، ديوان البارودي، باهتمام عليّ عبد المقصود عبد الرحيم، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م.

٦. پوريانپور، سمير، نوائح نجوم السماء في مصائب عاشوراء، الطبعة الأولى، دار نشر طوباي محبَّت، قم، ١٤٣٥هـ.ق.

٧. الحسينيّ، جعفر باقر، تاريخ الأدب العربيّ؛ أدب صدر الإسلام، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، قم، ١٤١٦هـ.ق.

٨. الحسينيّ الشيرازيّ، السيِّد محمَّد رضا، الإمام الحسين عظمة إلهيَّة وعطاء بلا حدود، دار العلوم، كربلاء، د.ت.

٩. حسين يوسف، عليّ، الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام في الشعر العراقيّ الحديث، الطبعة الأولى، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، قسم الشؤون الفكريَّة و الثقافيَّة، كربلاء، ٢٠١٣م.

١٠. الحِلِّيّ، السيِّد حيدر، الديوان، ج١، تحقيق الدكتور مُضَر سليمان الحِلِّيّ، الطبعة الأُولى، دار نشر الأَعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١م.

١١. الزركليّ، خير الدّين، الأعلام، ج٢، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٢. سراج الدين، محمَّد، الرثاء في الشعر العربيّ، دار الراتب الجامعيَّة، بيروت، د.ت.
١٣. السَّماوي، الشيخ محمَّد، الطليعة من شعراء الشيعة، ج١، حَقَّقَهُ كامل سلمان الجبوريّ، الطبعة الأولى، دار المؤرِّخ العربيّ، بيروت، ٢٠٠١م.
١٤. شبَّر، جواد، أدب الطفِّ أو شعراء الحسين عليه السلام، ج١ و٨، الطبعة الأولى، مؤسَّسة التاريخ، بيروت، ٢٠٠١م.
١٥. شمس الدين، الشيخ محمَّد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبيّ، الطبعة الثانية، المؤسَّسة الدوليَّة للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦م.
١٦. ضيف، شوقي، دراسات في الشعر العربيّ المعاصر، الطبعة العاشرة، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٧. المصلاويّ، عليّ كاظم، الطفيَّات المقولة والإجراء النقديّ، الطبعة الأولى، العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، قسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة، كربلاء المقدَّسة، ٢٠١٢.
١٨. نور الدين، السيِّد حسن، عاشوراء في الأدب العامليّ المعاصر، الدار الإسلاميَّة، لبنان، ١٩٨٨م.
١٩. اليعقوبيّ، الشيخ محمَّد عليّ، شعراء الحِلَّة أو البابليَّات، ج٢، مطبعة الزهراء، النجف الأَشرف، د.ت.